في ركب النهضة العربية :

الأدب في فلسطين . . .

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٣ —

النثر في شتى ألوانه :

في فصل مضى (من هذا البحث) ، وقفت عند ثلاثة من الأدباء ، كل منهم يثبت عند حد رسالته ولا يبرحه حتى يعود إليه . وهم يجمعون في هذه الرسالات بين الأدب والتربية والتوجيه . وكلها حين تجتمع وتتسامت مع غيرها (من الألوان) ، تتألف منها صورة صادقة من صور الأدب الصحيح .

وفي هذا الفصل أتناول ثلاثة آخرين يختلفون في مناحي رسالاتهم (أيضاً) . ولكن هذا الاختلاف (في رأيي) لا يعدو كونه من الملتمات التي يشتمل عليها الأدب في شتى ألوانه كما أسلفت . وهؤلاء الثلاثة هم : (باحث سياسي خطيب) و (مؤرخ يصور دقائق المجتمع الذي يعيش فيه) و (عالم يبسط العلم في ثوب الأدب) .

فأما الباحث الخطيب — والخطباء ذوو الآثار عندنا قليل — فهو الأستاذ عجاج نويهض ولعلي لا أغالي إذا قلت : إنه (سحبان) هذا الجيل . فقد عرفه الناس خطيباً مدرهاً ، ولسناً مفوهاً . وهو إذا ما صعد منبراً تدفق تدفُّق الأتيّ (مرتجلاً مبتدعاً) ، وحلق إلى رفيع الأجواء مجتذباً معه القلوب والأسماع . فهو — من غير ما جدال — فارس هذه الحلبة وابن بجدتها ، ومجلي هذا الميدان وصاحب قصبه .

وهو — إلى جانب ذلك — أديب مطبوع وكاتب سياسي لامع . وقد زامل النهضة العربية منذ شبابها ، وكانت تربطه أواصر مودة مع كثيرين من أقطابها . فطالع الناس بمجلته (العرب) أدبية سياسية ، رغبة منه في أن يساهم في بناء هذه النهضة مساهمة فعلية بقلمه وتوجيهه . فكانت — على قصر حياتها — منبر دعاة الحركة الفكرية الاستقلالية في العالمين العربي والإسلامي . واستمر ذلك من عام ١٩٣٢ حتى عام ١٩٣٤ ، حين تعرّم (المستعمر) فكم الأفواه ، وأخرس الألسن ، وبدأ — من بعد — يصنع الأعاجيب ! !

وكان الأستاذ — قبل ذلك — لا يبرح هذا الميدان في مجلات مصر وصحف الشام ، ولعله كان أبرزها يومذاك (فتى العرب [1]) في دمشق ، و (كوكب الشرق) و (مجلة الفتح) المصريتين ، وللأستاذ فيها من بديع الآثار ما ينتظم هالة جهاد وفخار .

وقد جمع له الأستاذ (محب الدين الخطيب) في كتابه (المنتقى) بعض محاضراته القيمة . وإنك لتشهد إنها (قيمة) — لو قرأت أو سمعت — وليس الخبر كالعيان ... وللأستاذ — عدا محاضراته وأبحاثه — كتب غزيرة النفع جليلة الأثر ، بين مترجم وموضوع ، أذكر منها : « حاضر العالم الإسلامي » وهو كتاب وضعه أحد العلماء الأمريكان بعد الحرب الأولى وصف فيه نهضة العالم الإسلامي (السياسية والاجتماعية) ، وقد عربه الأستاذ (نويهض) لما رأى من أهميته ، وعلق عليه الأمير (شكيب أرسلان) تعليقات مستفيضة جامعة . وقد صدرت طبعته الثانية في أربعة

تجد فيها عيباً ؛ فلا أخطأوا في سياسة ، ولا تعمدوا مظلمة ، ولا حجزوا حرية الرأي ، ولا أساءوا لمسلم ولا ذمي ، ولا حنثوا مع محارب بقسم ، ولا نقضوا عهداً ، وكانوا مظفرين في الخارج في الحروب ، مظفرين في الداخل بالسياسة ...

أولئك هم : أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز ، ونور الدين زنكي ، وصلاح الدين .

(دمشق) علي الطنطاوي

(١) صاحب هذه الجريدة أديب الشام الأستاذ (معروف الأرنؤوط) وقد تتلمذت عليه — إبان حداثتي — في كتابه (سيد قريش) ، وعرفته (سنة المرض) في دمشق . فلمست فيه رزانة الحكماء وتواضع العلماء . وآثاره كثيرة قيمة ، وأسلوبه عبقري فذ . ولكن معظم من لقيت من أدباء مصر ، لا يعرفون عنه شيئاً ! !

أجزاء . وهو إلى أن يكون موسوعة إسلامية ، أقرب منه إلى أن يكون كتاباً مقصور الأبواب .

ثم كتاب (النظام السياسي) : وهو كتاب يبحث تطورات الأنظمة السياسية في المجتمع منذ أقدم عصورها إلى اليوم .

وله أيضاً كتاب (سيرة الأمير جمال الدين — عبد الله التنوخي) أحد أعلام لبنان في القرن التاسع عشر .

وأما أسلوبه : فهو أسلوب يتحرر من كل قيد ويسترسل وراء المعاني ، ويراعي فيه أن يتحسس مواطن التأثير في نفس القارىء أو السامع فيستدرجها إلى اليقظة ، ثم يدفعها بعد ذلك حيث يشاء . وإليك ما يقوله في كلمة عنوانها (الاستقلال العربي) :

« الاستقلال : شق طريقه الشهداء الأبرار ، فسكنت أجسامهم الأرضين ، وأرواحهم الطاهرة أعلى عليين . عُلّقوا على الأعواد ، وجالدوا المستعمر أبسل جلاد . فاستشهدوا بين شمال الحجاز وبطاح العراق ، وتطيّب ثرى ميسلون وأرض فلسطين وسهول حوران بطيب أجلادهم وعظامهم .

نعم : الاستقلال العربي ! الذي لذكره تهتاج النفوس العربية في كل مكان ، وتهفوا قلوبهم إليه ، وتحنوا ضلوعهم عليه . الأمة العربية قد استيقظت ، فليشهد العالم ! ولن ينكص العرب عن هذا السبيل حتى يستردوا حقهم المغصوب ، ويستعيدوا ملكهم المسلوب . ويملكوا بيدهم زمام أمرهم وبلادهم خالصة لهم .

وأمم كثيرة قبلنا كانت متفرقة مقهورة ، فكتب الله لها أن تجتمع حزمتها ثانية ، وأن تعز بعد ذل ، وتعلو بعد هبوط . ولكن كانت (التضحية) هي القائد ، وكان (الفدى) هو الدليل . »

وأما المؤرخ (الذي يصور دقائق مجتمعه الذي يعيش فيه) فهو الأستاذ عارف العارف — وقد بدأ حياته الأدبية ، يوم كان أسيراً في (سيبريا) أثناء الحرب الكونية الأولى . إذ أصدر هناك جريدة أسماها (ناقة الله) كان يحررها بنفسه . وقد اطلعت على بعض أعدادها التي ما زال يحتفظ بها فألفيتها غاية في الطرافة .

ثم ألف كتاباً عنوانه (رؤياي) أثناء عودته (فاراً) من منفاه ، عن طريق الصين فالهند ، استجابة لداعي الثورة العربية الكبرى ، بعد أن أضرم نارها يومذاك المجاهد الأكبر (الحسين ابن علي) ، الذي قضى شهيد تلك الدعوة المباركة ، ليرقد بعيداً عن مسقط رأسه عند مهوى الأفئدة ، ومؤتم القلوب والأبصار ، عند المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله . وكذلك قضى (الأخيار المصطفون) من أبنائه (علي وفيصل وغازي) ، وإنك — كائناً من كنت لتعلم من (أولئك) ! !

ولقد ضمن الأستاذ (العارف) كتابه (رؤياي) ما كان يساور خاطره الفتي — إذ ذاك — من أحلام ذهبية مشرقة ، وآمال باسمات عذاب . وحسبك من ذلك أن تعلم نبوءته بـ (الجامعة العربية) . ولم تكن هنالك للعرب دولة . بل لم تكن قامت لهم — بعد — قائمة . فأبصرها — فيما أبصر — ينتظم عقدها من كافة أقطار العروبة ، بما في ذلك : عمان والبحرين وحضرموت وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش . كما أبصر لهذه الجامعة هيئة تنفيذية أسماها (اللجنة العربية العليا) ، وهي تقوم على إمضاء ما تقره تلك الجامعة مما فيه صالح العرب قاطبة ، يعززها جيش لجب مدرب ، وأساطيل كثيفة ، تمخر عباب الماء وتغمر أعنان السماء ...

ويمضي في (رؤياه) على هذه الوتيرة ، يعدد ما يشاهده من مفاخر هذه الأمة ، ويستعرض ما تكون قد وصلت إليه في ميادين التقدم والرفعة والمجد فنرجو الله أن يحقق تلك الرؤيا كاملة غير منقوصة ، بعد أن تحقق جانب منها . وما ذلك على الله بعزيز .

وللأستاذ (العارف) كتاب (القضاء بين البدو) وهو أول كتاب من نوعه ، ترجم إلى عدة لغات ، وفيه تصوير بارع لحياة البادية وتقاليدها وعاداتها ونظمها ، وما يتقيد به البدوي في أفراحه وأتراحه وسلمه وحربه : ثم يشرح بعد ذلك الكثير من أقوالهم وحكمهم وشعرهم ، وما يسير بينهم مسير الأمثال .

وله أيضاً (تاريخ بئر السبع) و (تاريخ غزة) و (تاريخ عسقلان) وجميعها مطبوع . ثم (تاريخ بيت المقدس) وهو تاريخ ضخم ما يزال إلى اليوم مخطوطاً . وفي سائر هذه الكتب يؤرخ لتلك المدن منذ أقدم الأزمنة إلى يوم الناس هذا ، تأريخاً جامعاً شاملاً ، لا تفوته فيه سانحة ولا بارحة .

وإليك مثلا مما يكتبه ، وهو جزء من كلمة يقدم بها كتابه (تاريخ غزة) فيقول :

« الوحدة العربية : تلك هي أمنيتي التي أحلها بين أضلعي ،

وسرت على هداها فى أعمالى ، منذ تعلمت وعرفت معنى (حب الوطن) . وإنه ليسرنى أن أرى هذه الأمنية التى كانت تعد فى يوم من الأيام ضرباً من الخيال ، أو حلماً من الأحلام ، أخذت فى هذه الأيام تطل من وراء سحاب .

« وإنى لا أشك قط فى أنها ستصبح عما قليل حقيقة واقعة لا ريب فيها . وإن غداً لناظره قريب ... وإنا إذا سرنا بقدم ثابتة إلى الأمام ، اهتدينا إلى ضالتنا المنشودة فى أقصر ما يكون من الوقت ، وإلا فإن دون الوصول إليها خرط القتاد ... »

وأما العالم الذى (يبسط العلم فى ثوب الأدب) فهو الأستاذ قدرى حافظ طوقان ، عالم فلسطين الرياضى ، وليس عندنا من يضارعه فى هذا الميدان . وبالرغم من عمله الذى يستنزف معظم فراغه (فى إدارة كلية النجاح بنابلس) ، فإنه أكثر من عندنا تأليفاً ، وأوفرهم إنتاجاً . فبيّنا تراه يتفرغ لتأليف كتاب من كتبه ، تسمعه (أو تقرأ عنه) يحاضر فى مختلف أنحاء فلسطين ، وفى مواسيع علمية وأدبية وفلسفية وسياسية (أحياناً) . وإنك لو تتبعته فى جولاته الكثيرة بين يافا وعكا والناصرة وحيفا وغزة بل وبئر السبع ، لحسبته من (أهل الخطوة) الذين يتحدث عنهم جماعة (الصوفية) ، وهو لهم — أنى للصوفية — صديق وفى . ويشهد لى بذلك من سمعه فى (نادى الناصرة) ، وهو يجادلنى جدالاً عنيفاً فى إحدى مشاكلهم المعقدة .

وكتبه بين مطبوع ومخطوط ومرهن الترتيب والإعداد كثيرة . أذكر منها الكتب التالية : (الكون العجيب) وهو العدد الحادى عشر من سلسلة (اقرأ) . ثم كتابه (نواح بجيدة من الثقافة الإسلامية) أصدره المقتطف عام ١٩٣٦ وقد اشترك فى إعداده مؤلفون آخرون ليكون هدية لقرائه . ثم كتابه (تراث العرب العلمى) وقد أصدره المقتطف أيضاً عام ١٩٤١ هدية إلى قرائه كذلك . ثم كتابه الجديد (بين العلم والأدب) وهو مجموعة مقالات ومحاضرات وإذاعات علمية وأدبية . ومن كتبه المخطوطة (الأسلوب العلمى عند العرب) وقد ألقى جانب منه فى سلسلة محاضرات (ابن الهيثم) التذكارية فى الجامعة المصرية . ثم كتابه (العقل فى الإسلام) وفيه تحليل ومحاكمة واستقراء لكثير مما وصلت إليه الأبحاث الفلسفية فى ظلال الدول العربية الإسلامية على أيدى فلاسفة المسلمين .

وأما أسلوبه فهو لا يخرج عن حد قوله فى كتابه الأخير حين يتحدث عن (الصفر) فيقول : « قد يدهش القارىء إذا قلنا إن حساب التمام والتفاضل لا يستغنى فى بحوثه عن استعمال الصفر ، بل إن الصفر عامل مهم جداً فى تسهيل حل كثير من مسائله العويصة . وعلى كل حال يمكن القول بأن (الصفر) ضرورى ولازم فى البحوث الرياضية الحديثة والعالية . إذ جعل كثيراً من الأوضاع والمعادلات قابلة للحل غير ملتوية المسالك » .

(له تكملة) محمد سليم الرشدان

(ماجستير فى الآداب واللغات السامية)

إدارة الهندسة الفروية بالمنوفية

تعلن عن وجود وظيفتين خاليتين لمهندسين من حملة بكالوريوس كلية الهندسة القسم المدنى أو العمارة أو الفنون الجميلة العليا قسم العمارة . وأيضاً عن وجود ثلاث وظائف خالية لمساعدى مهندسين من حملة دبلوم الفنون والصناعات أو الهندسة التطبيقية العليا أن رغبوا .

والتعيين على اعتمادات الباب الثالث بعقود مؤقتة بأول مربوط الدرجة السادسة للمهندسين وبأول مربوط الدرجة السابعة لمساعديهم مع إعانة الغلاء المقررة وتقدم الطلبات على الإستمارة ١٦٧ ع. ح لغاية آخر سبتمبر سنة ١٩٤٦

٥٩٢٤